في فصل « كرم الأخلاق ولؤمها » ص ٧٠ الطبعة الثانية، وهما من حشد الشيخ الذى لا يقوم على أصل من البيان والبلاغة

أجَلْ ، إن كثيراً مما وقع فى كتاب الشيخ اليازجيّ — على جلالته — ، إنْ هو إلاّ مجازات واستعاراتٌ كأخيلة المحموم مادّتها من الهذيانِ اللغويّ الذى لا يَصِل إلى الحقيقة بأسباب من منطق العقل . والبلاغةُ ليست إلاّ حفظ النسبة بين الحقيقة اللغوية والمجاز البيانى ، فكل ما لم يكنْ كذلك من المجاز والاستعارة فهو لَغْوٌ يتشدقُ به من ليس لَهُ طبعٌ أدبيٌّ رفيع . وجهدُ اليازجيّ كان حشداً من كلام العصور المتقدمة فى العربية ، فأخذ من الجيد والرديء على غير نقد أو تمييز

فكان واجبُ الأستاذ أحمد أمين ـ الوارى على الشعر الجاهلى وواصمه بالجناية على الأدب العربى ـ أن ينقُد مثل هذه العبارات الضعيفة المنهالكة التى لا تتصل بسبب إلى البلاغة العربية على اختلاف عصورها ـ لا أن ينقلها إلى كلامه . وإلا فلينظر الأستاذ إلى أثر هذه المجازات فى بيان الشباب الذى يحبُّه ويعجب بأدبه ، ويتلقى كلامه بالإجلال وحب الاقتداء

محمود محمد شاكر

رسالة الفن

الموسيقى فن وإلهـــام

للأستاذ محمد السيد المويلحى

أكثر الناس فى هذا الزمن يعتقدون أن الموسيقى « علم » ككل العلوم لها قواعد ومبادئ ، ولها مناح ونواح متشعبة متفرقة لا يمكن جمعها وهضمها إلا بالبحث والفحص والدرس ، بل هم يعتقدون أكثر من هـذا ؛ يعتقدون أنها تخضع للدأب والكد ، وتعطى سرها وسحرها لمن يتعب أكثر من غيره فى طلبها .. !

وليس هذا فى مصر والشرق فحسب ؛ بل فى جميع بقاع العالم ، وفى كل البلاد التى بلغت ذروة الحضارة وأدركت نهاية المدنية ... فهناك المدارس المختلفة ، والمعاهد المتباينة ، والجامعات المختصة فى تدريس كل (مادة) من مواد الموسيقى ؛ وهناك الأساتذة الذين قطعوا كل عمرهم أو جله فى التخصص والانقطاع لتجويد ناحية واحدة يكررونها صباحاً ومساء ... حتى (الصوت) استطاعوا أن يوهموا الناس أن فى مكنتهم السيطرة عليه بل وخلقه خلقاً جديداً ... !

ولكن هـذا ليس من الواقع فى شىء ، فإن كان للموسيقى فروع وأصول ، وقواعد ونظريات ، فليس معنى هذا أن كل من ألم بها أو بهضمها يسمى (موسيقيًّا) أو فنانا يعبِّر عن خوالج الناس بروحه الشفافة الملهمة

الموسيقى ليست مهنة تُعلم ، ولا حرفة تُجاد ، ولا صنعة تكتسب ، وإنما هى فن وإلهام كما قلت فى رأس هذا الكلام ... هى إلهام لأنها أسمى من أن تخضع لقوى البشر الذى يخضع لها ، وهى قوة سحرية روحية تفعل فى النفوس ما لا تفعله قوى الأرض مجتمعة متضامنة ... فهى تُضحك وتُبكى ، وتُفرح وتُحزن ، وتسعِد وتُؤلم فى لحظات ، فهل ثمة قوة إنسانية (مكتسبة) تستطيع أن تملك مثل هذا السحر ؟

إن (العالِم) الذى يقسم لك الموسيقى إلى قواعد غربية وقواعد شرقية وموشحات وأدوار ثم يقول لك إن للموسيقى عبارة عن (دواوين) وأن كل ديوان له درجات أساسية و (نيمات) وعربات و (تيكات) وأن بين اليكاه والعشيران كذا من المسافات ، أو أن يقول لك إن الديوان الأول (مثلاً) يحتوى على ثلاثة (تكوك) وسبعة عربات ... الخ ويروح مقارنا بين الموسيقى الغربية ، والموسيقى العربية ، ويفضل إحداهما على الأخرى ناسياً الذوق ، والطبع ، والعادة ، والبيئة ـ لهو أبعد الناس عن الموسيقى وعن الفن الصحيح وإن كان هو يأبى ذلك . فليس الفن أرقاماً تجمع وتطرح وتحفظ وتعزف وإنما هو قوة هائلة معجزة يسوقها اللهم العبقرى أمواجاً سحرية ولو كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ولا يعرف النيمات والتيكات والعربات ... ! !

(فوزار) الموسيقار الألمانى الخالد عزف وهو فى طفولته على البيان والكمان والأرغن من غير أن يتعلم درساً واحداً عليها ! ! ولعل القارئ يدهش حينما يعلم أنه كان يسبق الأساتذة

الذين أتى بهم لتعليمه ، وتوجيه عبقريته فى الوجهة الصحيحة (كما كانوا يزعمون) حتى إن أحدهم بكى أمام سحر الطفل ، وقال لوالده :

« ليس عندى ولا عند غيرى ما يجهله ابنك، إنه ابن الموسيقى وقد علمته سرها وسحرها ! » (وبتهوفن) الذى كان يطلق عليه (إلـه الموسيقى) والذى أرهقه أبوه فى طفولته وظن أن كثرة (التعليم والإرشاد) تنفعه . كان يبكى لأمه ويشكو ظلم هذا الوالد ويقول لها : لقد أوشك أبى أن يبغضنى فى الموسيقى وفى الحياة نفسها ... فلما تركوه وشأنه كان لا يفارق البيان أبداً إلا ليأكل أو لينام ... !! وبعدها أخرج آياته الخالدة التى لا تزال إلى اليوم سمعاً لا يدانى ...

قد يقول قائل وما فائدة تلك المدارس إذن ، وما فائدة هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم للتدريس وجعلوا من أنفسهم حفظة لقواعد الموسيقى وعلومها ... ؟

فائدتهم التوجيه والتهذيب فقط . أما الخلق والابتكار والقدرة والسيطرة والتحكم فى ميدان العواطف ، أما التغلغل فى الأعماق والسريان فى الدم والتلاعب بالأرواح ، فهذا كله لا يعرف العلم ، ولا يخضع للعلماء ... !

إن الذى يغنى أو يعزف لا يصف النظريات ، ولا ينتقل من نغم إلى نغم مرسوم موضوع ، وإنما هو ينطلق بروحه فتتحكم فى لسانه أو بنانه وتروح مستولية على خلجات المستمعين، وطوبى لمن يأسره فنه أولاً قبل أن يأسر غيره لأنه يفعل العجب ... ولا يهمه بعد ذلك أخرج على (الوحدة) أم ظل محافظاً عليها، ولعل من هذا الباب قصة المرحوم (عبدالحى حلمى) الذى كان يشدو ليلة كبليل نشوان والناس من حوله سكارى من خمر الطرب تخرج على (الوحدة) فأرشده (عازف القانون) فزجره قائلاً : خلِّ الوحدة لك ولأمثالك ، إننى أغنى لهؤلاء الذين يفهمون الموسيقى !

ولهذا لا يمكن لمطرب يغنى لحن غيره ، ويترجم إحساس غيره ، أن يصل إلى درجة مطرب يلحن لنفسه ويترجم إحساسه مهما أوتى من حسن الصوت وجمال الإلقاء ، لأنه يكون ممثلاً وحاكياً، بل يكون كاذباً فى رسالته، والموسيقى لا تعرف الكذب لأنها هى نفسها رسالة صادقة !

رب قارئ يقول إنه يسمع بعض المطربين والمطربات من الذين يغنون تلحينات غيرهم قد وصلوا إلى مرتبة سامية لا تدانى، حتى من الذين يلحنون لأنفسهم ؟ وردى على هذا الاعتراض أن القارئ سيقتنع إذا عرف أن هؤلاء المطربات والمطربين لا ينتزعون الإعجاب ولا يسيطرون بسحر فنهم وصوتهم إلا إذا انطلقوا من جو تلحين الموضوع وتصرفوا من عندهم التصرف الذى يمليه إحساسهم ...

إن بعضنا يسمع (أم كلثوم) مثلاً وهى تغنى قطعة موضوعة مرسومة فيظل هادئاً أو مشجعاً حتى إذا تصرفت وترجمت إحساسها هاج وماج وفقد سلطانه على نفسه !

وعبد الوهاب ، هناك من هو ألمع منه صوتاً وأصفى نبرة ومع ذلك لا يقاس إليه ، لِمَ ؟ لأن عبد الوهاب لا يترجم للناس إلا إحساسه ، ولا يصور لهم إلا روحه ...

ومالنا نذهب بعيداً؟ إن القصبجى والسنباطى وزكريا وهاشم ومحمود صبيح ، وهم أئمة الملحنين فى مصر والشرق قاطبة ، لو غنوا تلحيناتهم بأنفسهم — وبعضهم قبيح الصوت — لأدوها أحسن من غيرهم ولو كان أجمل صوتاً وأقوى أداء، وليس هذا بعجيب أو غريب ، فلن يكون المقلِّد كالمقلَّد أبداً ... !

* * *

لنرجع إلى الفن الملهم والفن المكتسب ...

فى الشرق والغرب بعض العلماء الذين تخصصوا فى دراسة النظريات والقواعد الموسيقية فألموا بها إلماماً تاماً ، وأصبحوا (علماء) ينتفع بعلمهم وطرقهم فى دراسة الموسيقى الذين يعتقدون أن الموسيقى تخضع للدرس والبحث كما قلنا، ومع ذلك ترى هؤلاء العلماء يتساوون مع الجميع — إلا الموهوبين — فى العجز عن فهم الموسيقى الحقة وعدم القدرة على الوصول إليها ! لأنهم يصفون الطرق والمسالك التى تؤدى إليها ويزعمون أن الإنسان إذا فحص وصل، فإذا سألتهم ولِمَ لم تصلوا أنتم بعد طول بحثكم وفحصكم إلى مرتبة الملهم العبقرى الذى لم يقطع زهرة عمره فى الجرى وراء النظرية والقاعدة ؟ قلبوا شفاههم ، ولووا رءوسهم ، ورأيتهم يستكبرون ويتعاظمون ، ويصفونك مع الملهمين بالجهل الفاضح والعجز الواضح ... ! ! ولعلهم معذورون ، لأنهم يعتقدون أن الفن

يخضع للعلم ، وكذلك تراهم - في كل عصر - ينكرون ويحاربون نتاج العباقرة الملهمين ... وكم شهدت مصر - أيام سيد درويش - من صنوف الدس والتحقير لفن هذا العبقرى الأوحد الذى ذاق الأمرين من رجال معهد الموسيقى ، لا لشيء ، إلا لأنه فى عرفهم من الجاهلين ، نعم ، كم شاهدت مصر — ولا تزال — من صنوف الاضطهاد لفن سيد من هؤلاء الناس الذين لو عاشوا ألف سنة ما استطاعوا أن يصلوا — مجتمعين — إلى فهم قطعة واحدة من قطعه ... ! !

لم يعرف عن سيد أنه كان عالماً يفكر قبل أن يلحن ليخرج تلحينه من نغمة — كذا — كما يريد المغنى أو المغنية ، بل كان ينتزع اللحن الخالد من صميم الحياة ، ومن صميم البيئة المصرية ، دون أن يزن أو يقيس بمعيار النظريات ومقياس القواعد والدُّم ، والتك ، والوحدة . ومع ذلك ، فقد كانت تلحيناته سماوية خالدة يُضرب بها المثل فى الربط والضبط ... ! !

* * *

وقبل أن أنتهى ، أحب أن أقول : إن الموسيقى فن مُلهم أكثر منها علماً مكتسباً ، وهى وحى سماوى يهبط من عل فينقله ويترجمه الملهمون لغة تفهمها القلوب والأرواح ... لغة لا تخضع للقواعد ولا للنظريات ، لأنها ليست من صنع البشر ... !

نعم ، إننى أعتقد أن مرتبة «الفنان» أسمى من مرتبة البشر ، لأن الله اصطفاه بأنبل ما فى الحياة وأطهر ما فى الوجود ... وهو « الفن » ، بل وأعتقد أكثر من هذا ، أعتقد أن الله اصطفاه « بنفسية » لا تخضع لعوامل الشر ، ولا تنحنى أمام مغريات الشيطان ، فالفنان لا يعرف الغل ولا الحقد ، ولا المال ولا الجاه ، لأنه يعيش كما تريد له الحياة أن يعيش ، وينتج كما يريد له الله ، لا كما يريد له العلم والتعليم ... ! !

محمد السيد المويلحى

ابتــداء من الاثنين ١٩ فبراير

بســـينما ســـتوديو مصر

تقدم شركة كولومبيا الفيلم السنوى للمخرج العبقرى

فرانك كابرا

الذى نالت كل أفلامه الجائزة الأولى للســينما الأمريكية

مستر سميث يزور واشنجتون

تمثيل : جين ارثر و جيمس ستيوارت

السجل التجارى ٢٩٧٣

١٤ ٥ ٢٠